الباب الأول
الوطنيات وبذور الفكر السياسى الإنسانى

الفصل الأول
الوطنية والحركات الفكريةالأبكر فى التاريخ

- **حضارة اليونان بين المبالغة والواقع**
- **مدنيتا اليونان والمسلمين**
- **الديموقراطية وحقوق الإنسان أو الجانب السياسى اليونانى**
- **الأثر الشرقى فى الفكر اليونانى بين أوليرى والشهرستانى**
- **ميراث النبوة فى الفكر اليونانى**
- **إهدار القيم القديمة ووضع المسلمين فى حالة رباط**

▲ **استخلاص.**

حضارة اليونان بين المبالغة والواقع:

- ثمة فروق جوهرية بين مفهوم الغرب الشائع للوطنية أو القومية والتصور الشرقى لها رغم دلائل التأثر والمشابهة فى المسألة. ويعتبر ارتباط الفكرة القومية بالأسلوب الديموقراطى أو بنحو منه سمة مشتركة فى القوميات بالمفهوم الغربى وبالمفهوم العربى وإن غلب على المفكرين الغربيين الظن باقتصار التفكير الديموقراطى على الغربيين؛ لما غلب عليهم أصلا من الظن بأن اليونان أصل حضارى لهم خاصة. والحق أنه حتى مشارف القرن العشرين غلب على أوروبا القول: "بأن دولة المدينة الإغريقية كانت تمتاز عن سائر الدول- سواء مصر أو أو فينيقيا أو غيرهما فى تواجد الشعور السياسى بمعناه الدقيق فى خبرة المجتمع

الإغريقى بالذات وفيه وحده."[1]
- صدر هذا مطلع عصر الاستعمار عن الفيلسوف السياسى الإنجليزى "برنارد بوزانكيت"[2] صاحب ما يسمى بالنظرية السياسية الكاملة التى سوف نعرضها آخر التيار الإنسانى للحضارة مع ملاحظة خاصة. وتتمة عبارته أن التشريعات الإغريقية جاهدت أن تعلن سواسية الناس فى الحقوق والواجبات ونجحت فى رأيه فى تطبيق "صميم الخبرة السياسية" فى إذعان الأقلية لرغبة الأكثرية عن طريق أخذ الأصوات."[3]

من مظاهر خلل هذا النوع من التأليف المتعاطف مع اليونان ما لم يسلم منه حتى جورج سباين فى كتابه المترجم فى العربية تحت عنوان "تطور الفكر السياسى" عن مسماه فى الإنجليزية **History of Political Theory** ؛ حيث أتت بعض تجريداته متجاوزة لما فى عرضه نفسه . وتأمل عمودى الجدول:

ص٥٣، ٥٤	خلاصة الفصل الأول ص ٥٧
"ومن المسلم به كذلك أن نجاح المدينة الإغريقية فى تحقيق حياة مشتركة متجانسة كان نجاحا محدودا ، ذلك لأن الألفة الصادقة والشركة العامة فى حياة أفراد المجتمع الأثينى ؛ وإن كان لهما الفضل الأكبر فى عظمة مثلها العليا السياسية، قد أديا إلى عيوب قلبت فضائلها رأسا على عقب؛ إذ خلفتا من الشحناء والتنافس المرير مثل ما هو معروف فيما يقوم بين	"ويمكن تلخيص المثل العليا الأثينية فى عبارة واحدة هى: مواطنون أحرار فى بلد حر، وحكومة اتجاهاتها كاتجاهات القانون المحايد، لأنه صواب وحق. وحرية المواطن هى حقه فى التقدير وفى المناقشة والمساهمة وفقا لكفايته الذاتية ومواهبه؛ لا ثروته أو طبقته الاجتماعية. وكان الهدف من وراء ذلك كله تحقيق حياة مشتركة، وإتاحة فرصة المرانة لمواهب

[1] على عبد المعطى محمد/ الفكر السياسى الغربى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، ١٩٨١م، ص٤١٦ ص٤١٦
[2] على عبد المعطى محمد/ الفكر السياسى الغربى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، ١٩٨١م ، إضافة إلى تجريد المؤلف الفاضل ص ١٩ص ٣٦، ٣٧؛ وإلى رصده لحكومات الأرستقراطية وحكومة الطغاة الخ ص ٢٠، ٢١
[3] على عبد المعطى محمد/ الفكر السياسى الغربى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، ١٩٨١م ، ص ٤١٦، ٣٠، ٣١،

الإخوان والأصدقاء.ولقد أعطى ثيوسيديس صورة مروعة لما كان يجتاح المدن الإغريقية من ثورات واعتداءات كلما نشبت الحروب بينها، حيث قال: كانوا يعدون الإقدام فى تهور شجاعة صادقة، والإحجام فى تبصر حجة الجبناء، والاعتدال قناعا يستر ضعف المخنثين، والعلم بالأشياء ذريعة للقعودعن العمل، والاندفاع مع الطيش شيمة الرجل. ولم يعد يؤتمن إلا صاحب البطش، وأصبح التحزب أقوى من روابط القرابة، وتعاونوا فيما بينهم على الإثم والعدوان، لا على البر والتقوى"[1]	الأفراد وملكاتهم، وأن تحيا الجماعة حياة متحضرة على أساس من الرفاهية المادية والفن والدين وحرية التقدم الفكرى. وأفضل ما فى هذه الحياة المشتركة بالنسبة إلى الفرد هو قدرته على الإنتاج المثمر، وحريته فى ذلك الإنتاج، وأن يشغل مكانا ولو كان متواضعا فى هذه المهمة السياسية المشتركة، وهى حكم المدينة الإغريقية. ولقد كان أهم أسباب فخر الأثينيين بمدينتهم أنها هى التى نشأت فيها لأول مرة فى تاريخ البشرية وسائل تحقيق تلك المثل العليا ولو على نحو تقريبى. وحسب الأثينى أن جميع شعوب العالم التى خلفته قد تأثرت فعلا بنظم دولته وفلسفتها"[2]

[1] أضاف: " وقد قال أفلاطون فيما بعد متحسرا عقب انتهاء الحرب: إن كل مدينة وإن صغرت قد انشطرت إلى شطرين: إحداهما مدينة الفقراء والأخرى مدينة الأغنياء. ونظرا لكون المثل الأعلى الخاص بالانسجام الاجتماعى فى المدينة السياسية لم يتحقق إلا تحققا جزئيا أو ضعيفا، فقد ظل على الدوام جزءا من الفكر السياسى لدى الإغريق، وتحول الولاء بحيث صار ولاء بصورة معينة من صور الحكم أو لحزب من الأحزاب السياسية لا للمدينة ذاتها، ففتح ذلك الباب بكل سهولة للأنانية السياسية التى لم تعرف حتى الولاء لحزب من الأحزاب"

- وانظر عطفه المتخلط على هذا نفسه قوله: "ومن المؤكد أن أثينا كانت فى هذا الصدد أحسن من نظيراتها فى المتوسط؛ ومع ذلك فإن سيرة ألقبيادس Alcibiades تصور فى جلاء ما كان يكتنف حياة أثينا السياسية من مخاطر التشاحن ، ومن الأنانية التى لا وازع لها من ضمير" / ص ٥٣، ٥٤ ، چورچ سباين/ تطور الفكر السياسى، الكتاب الأول، ترجمة حسن جلال العروسى، مراجعة وتقديم الدكتور عثمان خليل عثمان، تصدير الدكتور عبد الرزاق أحمد السنهورى، ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠م

[2] چورچ سباين/ تطور الفكر السياسى، الكتاب الأول، ترجمة حسن جلال العروسى، مراجعة وتقديم الدكتور عثمان خليل عثمان، تصدير الدكتور عبد الرزاق أحمد السنهورى، ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠م، ف٢ ص ٥٧

- وانظر: ص ٥٤،٥٥ ومثلها ف١ ص ٥٥: "مع ذلك كله فإن فكرة استمتاع كل مواطن بحق المشاركة فى شئون مجتمع متجانس ظلت الطابع المميز لاتجاهات الفكر الإغريقى، مما يفسر أكثر من أى شىء آخر ما يحسه القارئ العصرى لأول وهلة من غرابة ودهشة عندما يطالع لأول مرة كتابات أفلاطون وأرسطو السياسية، لأنه يفتقد فى تلك الكتابات أكثر المألوف من أفكارنا السياسية، وبخاصة فكرة المواطن بذاتيته وحقوقه الخاصة، وفكرة الدولة التى تكفل بالوسائل القانونية حماية حقوق المواطنين وتستأديهم ما يقتضيه ذلك

وهو تعاطف يتحول إلى متكأ لـ "السطوة العالمية المنفردة الجديدة" عند "هنتنجتون" "[1] ؛ لا مجرد تعليل مقبول لدينا بكون الديموقراطية فارق حيوى حاسم بين تاريخ منقض وتاريخ يحيا ويستقبل عند "فوكوياما [2].
- يزيد على ذلك أن البعض قد غلا فعد الحضارة اليونانية قد نشأت كاملة وناضجة [3]؛ بينما ذكر هذا البعض نفسه أن اليونان قد مروا بمرحلة أسطورية مثلها 'هزيود' و 'هوميروس' فى تفكيرها غموض باهت تصور الطبيعة على أنها حية مريدة ؛ وأن الآلهة يعيشون فوق جبال الأولمب ويأتون بما يقوم به البشر من أفعال وأنهم مع ذلك علل الوجود ومبادئ الطبيعة وأنه قد تلا تلك المرحلة مرحلة 'طاليس' حيث بدأ التفكير يحصر أصل الأشياء فى الماء ، وتلا حصره فى اللامتناهى أو الهواء إلى أن ظهرت الفيثاغورسية التى حصرته فى العدد والنغم [4]. وظهرت

الهدف من التزامات. ولعل أبرز أفكارنا السياسية المعاصرة هى فكرة تحقيق التوازن والتوفيق بين مبدأين متعارضين : هما قوة الدولة بدرجة تسمح لها أن تكون فعالة، وحرية الفرد إلى الحد الذى يتيح له طلاقة العمل؛ ومثل هذا التعارض لم يخطر ببال فلاسفة الإغريق، فلم يكن معنى الحق والعدالة فى نظرهم إلا الدستور إو تنظيم الحياة المشتركة للمواطنين، ولم يكن للقانون من غرض إلا تعيين مكان كل فرد فى المجتمع، وتحديد وضعه ووظيفته فى حياة المدينة . وكانت للفرد حقوق، ولكنها لم تكن وليدة شخصيته الخاصة، بل كانت حقوقا تابعة لمركزه فى الجماعة وكانت على المواطن كذلك تكاليف والتزامات، غير أنها لم تكن فرائض حملته الدولة إياها، ولكنها نجمت عن حاجته إلى إظهار مواهبه وإمكانياته. ومن حسن حظ الإغريق(ى) أنه لم يتوهم يوما من الأيام أن له حقا موروثا فى أن يفعل ما يشاء، أو يعتقد أنه مكلف بواجباته من قبل الآلهة"."

- ومثلهما انظر : محور نظرية الإغريق عن الدولة ص ٦٦، ف٣

[1] - د. صلاح قنصوة/ تقديمه لترجمة كتاب / صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمى، الصادر ١٩٩٦م تأليف "صامويل هنتنجتون" ، ترجمة طلعت الشايب، ، ط٢ ١٩٩٩م، ص ١٨ من تنزيلنا فى ١٤-٦-٢٠١٦

[2] تنزيلنا صدد فوكوياما / نهاية التاريخ والإنسان

vI/AAAAAAAAJYo/zVSf-٢AE٢١oWQho/UFuc٦.ggpht.com/-vQBJK٣http://lh
D.jpg٢٥٢٥٥%٩B٢٥٢٥٥%-h/Francis-Fukuyama١٦٠٠zQaNI/s٩
/francis-fukuyama.html٠٩/٢٠١٢http://www.al-maseera.com/

[3] على عبد المعطى محمد/ الفكر السياسى الغربى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، ١٩٨١م، ص ٦، ٣١

[4] على عبد المعطى محمد/ الفكر السياسى الغربى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، ١٩٨١م، ص ٣٤، ٣٥

- ذلك مع الإجمال الشديد فقد رأيت الشهرستانى وقف على صحة الفرض العلمى فى اعتبار الماء أصلا للأشياء ، كما ناسب بين فكر طاليس وفكر الموحدين اليونان الذين نزهوا الله عن التعدد\ الملل والنحل ، ج٢، ص ١٥٦- ١٦١

- وحدس فيثاغورث بنظام الكون واعتباره الأعداد لحونا روحية تتجزى من نحو العقل ؛ وتكون العالم بهذا المفهوم منها، وتعداده للعوالم فى تفاضلها فى الحسن والبهاء والزينة بحسب حظها من هذا المنطق، وبلوغه فى الرياضة إلى أن سمع حفيف الفلك ووصل إلى مقام الملك والتذاذه بذلك \ الملل والنحل ، ج٢، ه ص ١٧٩، ١٨٠، ١٧٣

- وتوضيح لذلك فى قول طائفة من الفيثاغورسيين :"إن المبادئ هى التأليفات الهندسية على مناسبات عددية

عندهم بوادر تقسيم الناس إلى طبقات بحسب غايتهم من المجىء إلى ملعب الأولمب.
- ثم كانت مرحلة ثالثة امتازت بالعقم السفسطائى؛ قبل تلك المرحلة التى توصف الفلسفة اليونانية فيها بأنها مولود كامل: فترة "سقراط" و" أفلاطون" و "أرسطو " وهى الفترة التى تلتها فترة خاصة هى فترة الغموض المشائى[١].

مدنيتا اليونان ومدنية المسلمين:
تبدو مقولة الميلاد الكامل لأية فلسفة مقولة فاسدة حقا، وقد ناقضت قول القائلين أنفسهم فى الفكر اليونانى فيما ذكرنا ؛ أضف إلى ذلك أنها تناقض ما يؤيده بحثنا هذا من حقيقة أن ما منحنا إياه اليونان أو الروم فى تعبير للمسلمين عنهم[٢] من فلاسفة كبار حتى عهدهم المتأخر كان معظمهم مولودا فى الشرق كما نص القومى الغربى "ديلاسى أوليرى" غير منتفع بمقتضى شاهدنا هذا منه وغيره لمنحاه الخاص فى كتابه "الفكر العربى ومكانه فى التاريخ" [٣].

ولعله يكفينا لمعادلة قول بيزانكت باقتصار التطبيق الديموقراطى على دولة المدينة الإغريقية أن ننبه إلى أن العقاد فى تقديره لحضارته هو الآخر قد تأمل فى النظام التكاملى القبلى قبل الإسلام تطبيقا للديموقراطية بحسب تقسيم مهام التجارة والسقاية والرفادة واللواء وما إلى ذلك. [٤]

ولهذا صارت المتحركات السماوية ذات حركة متناسبة لحينة هى أشرف الحركات وألطف التأليفات"\ الملل والنحل ه ص ١٧٨

[١] على عبد المعطى محمد/ الفكر السياسى الغربى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، ١٩٨١م، ص٣٦، ٣٧

- وفى المشائية pripate`ticos "لأن أرسطو كان كثيرا ما يحاضر وهو يتمشى كل صباح بين الأشجار أو الأروقة.. فقد كان يؤمن بأن الحركة والتعرض لأشعة الشمس والهواء المتجدد ، عوامل مساعدة على تنشيط القريحة" / كتاب أرسطو/ فن الشعر ، ملحق به أوثق ترجمة إنجليزية للعلامة إنجرام باى ووتر، ترجمة وتعليق دكتور إبراهيم حمادة، نشرة هلا للنشر والتوزيع ، ط١، إيداع ١٩٩٩م، ص١٦ .

[٢] - وصف المرحلة الرومانية بالضعف الفلسفى وما إليه . حقا يطلقه التعبير الإسلامى على اليونان أيضا ؛ ولكن الرومان بحسب نسبتهم إلى روما لم يكن فيهم فلاسفة وإنما كان فيهم كبار رجال القانون والإدارة والعسكريون \ ملاحظة د. على عبد المعطى محمد.

[٣] ديلاسى أوليرـ الفكر العربى ومكانه فى التاريخ، ترجمة د. تمام حسان، ط مخيمر ، نشر وزارة الثقافة بمصر ١٩٦١م، ص ٢٧، أخريات ف ١

[٤] عباس محمود العقاد/ الديموقراطية فى الإسلام .

والعقاد بعد هو صاحب الموازنة التى أوردناها فى مجال آخر بين الحجج الشرعية التى كان الشعب يلزم بها حكامه المماليك قبل الدساتير الأوروبية ووثائقها الحديثة المشهورة وبين هذه الوثائق والدساتير ذاتها؛ فضلا عما يضيفه تأملنا لظاهرة ارتفاع النظرة لدى المسلمين إلى الموالى بنص التسمية وبقيمة السؤدد التى تواضعوا بها لعلماء أبناء هؤلاء الموالى.

الديموقراطية وحقوق الإنسان أو الجانب السياسى اليونانى:

- إذا احتكمنا فى الديموقراطية والحضارة اليونانية إلى مبادئ حقوق الإنسان الطبيعية البسيطة ذاتها: ظروفا ونشأة وجدنا المبادئ الإنسانية نفسها كانت كانت فكرة رواقية نبتت فى حوض المتوسط موطن المفكرين الرواقيين المستضعفين فى العهد الرومانى . وحقا لم تغفل الفلسفة اليونانية عن علاقة الإنسان بالكون ولكن ذلك كان فى طورها الرابع كما ألمحنا وربما بعد فتوح الإسكندر فى الإمبراطورية الرومانية.

- والفكرة واضمحلالها معتبرة فى ظهور دولة المدينة اليونانية واضمحلالها. أسقطت من الفكر الرومانى إلى أن عالجتها المسيحية بطريقتها المثالية لتطفو على السطح وتقتصر على مدلولها المادى العلمانى الغالب فى الفكر القومى الغربى المتلبس بنزعة الاستعلاء الرومانية أو الجرمانية وبالأسلوبية الماكيافيللية التى صاحبت التفكير الوطنى الغربى غالبا أو إلى أن أخذت الفكرة الإنسانية تسترد بعض مدلولها الأخلاقى وأخذت تتضح للغربيين العلاقة بين الإنسان والكون باطراد تقدم العلم فى العصر الحديث[1]؛ بينما لم تزل الفكرتان: الإنسانية والعلم تمثلان سداة الفكر الإسلامى ولحمته منذ ما قبل اليونان فى الفكر الحنيفى وإلى من بعد اليونان فى الفكر الرواقى والمسيحى والإسلامى الجديد من الناحية النظرية على الأقل؛ وهو ما أمكننا أن نستدل عليه أيضا.[2]

أما فى الجانب السياسى اليونانى فنحن نقيد الحكم على الفلسفة اليونانية

---

[1] Machiavelli, NicccoloL\ The Prince, the introduction, by Christian Gauss,p. 28

[2] تغلغل الفكر الحنيفى فى التاريخ عبلر التوحيد اليونانى والتسليم الرواقى والورع المسيحى والتقنين الإسلامى: تيار عرضناه فى سياق آخر مستقلا عن التيار القومى الذى نعالجه فى هذا القسم.

فى النظم التى انبعثت عنها فى دولة المدينة فى أثينا واسبرطة حيث أخرج من عداد المواطنين كل من عدوا أجانب ممن استوطنوا المدينتين استيطانا وفوق ذلك نرى تقييد الحكم بنظرة اليونان حتى فى طور حياتهم الرابع على عهد سقراط وأفلاطون وأرسطو إلى سائر الشعوب غير اليونانية باعتبارهم برابرة أوجب أرسطو عليهم فى قول الدكتور على عبد المعطى طاعة اليونانيين وحدهم باعتبارهم وحدهم السادة الذين يتمتعون بحق السيطرة والقيادة وتعتبر الحرب والغزو والسبى (والاحتلال) وسائل مشروعة لهم فى الناس[١] ؛ وإن كنا نقيد كل ذلك من الناحية النظرية بمبدأ أرسطو المثالى الذى يعتبر الحرب مجرد وسيلة للسلام بله كون الاقتصاد عنده وسيلة للراحة والتفرغ (للتأمل) لا للكلَب أو الغلب والتكاثر[٢]؛ أى بتعاليم أرسطو الوسطية بصفة عامة Aristotle's Doctrine of the Mean .

وفيما عدا القلة فى مدينة اسبرطة الذين أشبهتهم فى نظرى طبقة المماليك فى استئثارهم بالحكم والشئون العسكرية لم يكن لطبقة "الهيلوتيين" الكثيرة العدد وكذلك لطبقة "البريكيوكيون" حق فى الشئون السياسية وأن الطبقة الاسبرطية كانت تأخذ حاجتها من الطبقتين الأخريين لما غلب عليها من الطابع الاستبدادى (الأوليجاركى) [٣]. وفى الجملة اقتصرت الحرية عند اليونان على البعض كما ذكرنا عن هيجل بالفصل الرابع من الباب الثانى . أما تصميم الشكل الديموقراطى العلائقى للدولة بسلطاتها

---

[١] على عبد المعطى محمد/ الفكر السياسى الغربى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، ١٩٨١م، ص ٢٦، ٦٢

- عند أرسطو المواطنون يكونون بالمعنى الكامل وبالمعنى النسبى . وانظر "المواطن البحت" ص ١١٦ف٣ و "من هو المواطن" ص١١٨ ف٣ / من فصل ١ "المواطن" من باب ٣ .. وانظر اعتباره العبيد مقتنيات ص٣٧٥ / أرسطو/ (٣٨٤ق.م. -)/ السياسيات، نقله عن لأصل اليونانى إلى العربية الأب أوغسطيس برباره البولسى، ، نشر اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية (الأونسكو) ، بيروت ١٠٥٧م ، ؛ وإن كان هذب من هذه النظرة بقوله : "إن استخدام الرقيق لكونه رقيقا لا يولى شيئا من الشرف" ص٣٦٠ ف١(فصل ٣ "العلم والفلسف خير من السياسة" باب ٧ "الدولة الفضلى وشروط تأسيسها" .

- وينظر مداخلة المترجم بالنص المسيحى على مساواة العهد الجديد غلاطية٣: ٢٨

[٢] International Encyclopedia of Social Sciences, 1972- Aristotle, vol. 1, p. 410, col. 2

[٣] على عبد المعطى محمد/ الفكر السياسى الغربى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، ١٩٨١م، ص ٢٤، ٢٦

- وانظر ما سيلى من دلائل انتقال عادات البطش الهمجية إلى المسلمين من البيزنطيين وغيرهم بعد.

الثلاث فهو ما رسمناه فى القسم **I V** من الباب الثالث .

الأثر الشرقى فى الفكر اليونانى بين أوليرى والشهرستانى:
حاول أوليرى تعليل نقلة الفكر اليونانى من المادية إلى التجريد فلم يجزم بسبب .

ورغم أن أوليرى "من ..غلاة المستشرقين الذين يلتمسون فى ثقافة العرب ما يرچون أن يردوه لأدنى شبهة إلى ثقافة الإغريق أو الرومان"[١]

ورغم تمثيل أوليرى للنزعة القومية الغربية فى صورتها الثقافية الدعائية أو بالأحرى الادعائية اللادينية المجتزأة التى يحاول هذا البحث التقويم منها باطراد[٢]؛

فإنه لم يستطع إنكار الأثر الشرقى فى الفكر اليونانى السابق على أثر هذا الفكر اليونانى العائد إلى الثقافة العربية من بعد.

---

[١] الفكر العربى ومكانه فى التاريخ ؟ الشاهد من تقديم المترجم؛
- ويذكر فيه أيضا نسيان المؤلف أو تناسيه "أن فقه الإسلام مصدره الكتاب والسنة وأن فلسفة الإسلام وإن بدأت فى ظل مؤثرات هيلينية قد اشتقت لنفسها طريقا إسلاميا خالصا".
- وللمترجم تعليقات أخرى تكشف عن صحة وصفه أوليرى بالعصبية لجنسه ضد العرب(انظر تحشية المترجم ص ١٧)
- ونجن نعتبر تعصب أوليرى للغرب غريبى نظرا لأن أوليرى أيرلندى فى المحل الأول؛ وللأيرلنديين عادة مواقف تقربهم من العرب ولا تبعدهم عنهم.

[٢] مما تبينه نحن كذلك من دلائل تعصب أوليرى: مضادته للعرب باعتبارهم ساميين غير أهل للفلسفة ص ٦، ١٥٠
- وباعتبار أن منهم المؤمنين المخلصين الأوائل فى وصفه المغمض لهم بالخطورة
- وخنسه المعنى الحق فى قوله إنهم "طمعوا فى أن يؤاخى هذا الدين مؤاخاة حقيقية بين المؤمنين سواء أكانوا من العرب أم من غيرهم ص ٨٢
- وهو ما يفسره أيضا إلماحه إلى الأسكندر والإالأفلاطونيين المحدثين باعتبار فكرهم حرص على بناء المواطن الصالح لا النافع ص ٢٩
- وهو ما نستدل به أيضا لبحثنا باعتباره إسقاطا للجانب الروحى اليونانى والإسلامى من فكر الغربيين ممثلين هنا فى أوليرى، واقتصارا منهم كما تبين على الجانب العملى المصلحى القريب من فكر المسلمين واليونان على السواء
- وإن غلب على أوليرى حيفه على العرب والمبالغة فى فى الفخر باليونان والرومان رغم ما تبين من جوره عليهما معا فى الجانب الروحى فيما مر.

وقد أقر أوليرى أو بالأحرى أشاد – وهو فى غمرة نزعته العلمانية- "بأن الفكر الإغريقى الحقيقى كما يظهر فى فلسفة 'ديموقريطس' وآخرين من المفكرين الإغريق الأصلاء كان فكرا متميزا بالمادية ولكن أفلاطون فيما يظهر أدخل فيه مادة أجنبية". احتمل أن تكون هذه المادة "هندية" أو "مصرية" أو هما معا وأحجم عن ذكر مصدر مشرقى آخر ولكنه ترك الباب مفتوحا لاحتماله هو الآخر ؛ قال: "ونحن نعلم أنه كان ثمة نقل لأفكار شرقية أثرت فى الهيلينية ؛ ولكننا لا نعلم إلا القليل جدا عن التفاصيل".

وهو موقف عام من أوليرى حيال الروحى أو الدينى أيا كان كما فى قوله: "إن المدرسية التى كانت فى الإسلام واليهودية والمسيحية على السواء رد فعل رجعى لتعاليم هذه الديانات[1] ؛ سواء منها ما يستطيع أوليرى إثبات الرأى فيه بأسانيد فى اليونانية واللاتينية يقنعنا بها وما يقتضى سياق كلامه نفسه بعكسه . ولنا أن نراجع المؤلف فيه بما لم ينتفع هو به فى التراث العربى القائم.

فجوره على أهل السنة فى الإسلام وحملته على الإمام ابن حزم وابن تيمية وميله إلى التركيز على الأشعرى فى سياق لا ينصفه ضمن عدد من الفرق التى اعترف المؤلف ضمنا بأنها الغربية بسبب حركة عبد الله بن ميمون الذى أقر أيضا أن غايته كانت الوصول إلى دين مصطبغ جدا بالفلسفة" .
هذا وغيره كثير يدل على هذا الموقف اللادينى من أوليرى [2] .

---

[1] ديلاسى أوليرى/ الفكر العربى ومكانه فى التاريخ.....ص ٣٠٠

[2] أوليرى/ نفسه، ص ٢٤١(ابن حزم ٢٢١- ٢٢٦) ، الأشعرى ١٧٣) ، ابن ميمون):
- نعته ابن حزم بالرجعية وموقفه المماثل من ابن تيمية ص ٢١٥
- وفضل ابن حزم وما كشف لنا المحقق حديثا من أعمال الأشعرى فى الدفاع عن العقائد الإيمانية وأعمال الباقلانى ولاسيما فى لإعجاز القرآن يجعله فى رأينا فوق الجور الأوليرى ولاسيما لموقفه الصلب فى مضادة الفرق التى –إذا استثنينا من ذكرنا منها تمثل هدفا للناقد الدينى الراشد ومن ذلك :
-أنه عدد على من سماهم الأشعرية ٩٠ شنعة وكشف عن خنسهم الأسلوب وحقيقة ما كان من مذهبهم(الفصل فى الملل والأهواء والنحل، ج ٤، مصورة دار الفكر ، بيروت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص ٢١٤
- وجهلهم بحقائق العلم المادى البسيطة ص ٢١٧- ٢٢٨
- وخنس آخر للأسلوب نسبه وهو مستبعد بما سماه لى محمد بن الطيب الباقلانى الجمل لإبطال دعوى إعجاز القرآن وسائر المعجزات مع ما سماه وصفه الله تعالى بالعجز ص ٢٢٢، ٢٢٣

ذلك أنه وبصرف النظر عما استثنينا أو احتطنا لهما خاصة(أبو الحسن الأشعرى ومحمد بن الطيب الباقلانى) يظل حقا ما أنحى عليه ابن حزم وله من اسمه نصيب وافر وهو:
ما سماه "هوس وتطايب بالدين" ص٢١٦و "حمق عتيق"ص ٢٢٥ و"كفرات صلع" ص ٢٢٤و"قذف بالحجارة فى الشوارع .. من أطفال يسيل مخاطهم"ص ٢١٣؛ وقولهم:(صفات الله لا باقية ولا معلومة ولا مجهولة) و(الحق غير الحقيقة)؛ مما سماه ابن حزم من "الرعونة" "وعمل الموسوس والمبرسم" ص ٢٠٨ و"هذيان" ص٢١١.

وذلك وَفق خطة ابن حزم "تنفيرا" عن أهل البدع ..وإيحاشا للأغمار من المسلمين من الأُنس بهم ومن حسن الظن بكلامهم الفاسد ص٢٠٧؛ ولما فى طبيعة منهج هؤلاء المبتدعة من الإرهاب باستهواء العامة ص٢٠٥.

وهو تدقيق تخليط من السفسطة،ج٥، ص٤٩؛ شخصه بما يوافق ما نعرفه فى عصرنا من كتابات الغرب الخططية؛ وما إلى ذلك مما وقف عليه ابن حزم فى عصره من أقوال"جميع فرق الضلالة" ، باعتبارهم "يسعون فى قلب نظام المسلمين" ومرادفات هذا عنده وهم كما حددهم :الخوارج" و(الباطنية) وطالمرجئة" ومن هم "بسبيل ذلك" – ولأقل :كبعض (المعتزلة ج٤ ص٢٢٧. وقد بلغت شنع من عناهم بـ "المعتزلة" ٩٧ شنعة ص١٩٢؛ رغم الأصل الذى صدروا عنه فى فكرهم من القول بالعدل (والتوحيد) على مقتضى العقل ص١٩٨.
ونحن نستدل على تنقى الفكر السنى لدى الجماعة(التكلم السنى الأشعرى الرصين) من الشوائب بما ذكرنا من المحقق مؤخرا من الأشعرى والباقلانى ثم على علو هذا الفكر على ما عداه من الفكرالفلسفى والكلامى والمذهبية الدخيلة بقول المعتزلة بتراجع إمامهم العلاف عن قوله بتناهى قدرة الله تعالى وعجزه عن أن يخلق فوق ما خلق"ولا على إحياء بعوضة" وأن التذاذ أهل الجنة وتألم أهل النار من سكون مما فيه تحكيم

- وذلك الخنس لخوف الرجم (فى شريعة سمحة تدرأ الحدود بالشبهات ويظهر من موقف خصمها إنكار فضلها عن علم))
- وهو ما جعل ابن حزم لا يمترى فى نية (وذكر ابن الطيب) وأمثاله الكيد لدستور الأمة ص ٢٢٣؛ إلى غير ذلك من الأمور الرهيبة حقا.

للعقل المخلوق فى خالقه(وهو غير معقول فى ذاته). قال : ومخالف لنص القرآن ؛ و هذه هى "الطوام الثلاث" بحسب تعبير ابن حزم. لم يقبل قول أتباع العلاف بتوبته عنها وعد ذلك منهم "حياء من هذه الكفرات" التى وصفها بما ذكرنا ؛ وعد العلاف "إمام الضلالة" ص١٩٣،١٩٢؛ وإن كنا وجدنا الغزالى وسع فى أهل المقامات لدرجات من التأويل ليس فيها إنكار للألوهية الإسلامية ولا للبعث والثواب والعقاب من حيث هما لم يستثن من هؤلاء حتى أصحاب المقولة الأخيرة من الفلاسفة المسلمين.

وكذلك نستدل على رشد الفكر السنى بما أورده أوليرى أيضا من خبر توبة الأشعرى هو الآخر عن مقولات خلق القرآن وعدم رؤية الله وفعل المرء (المطلق) للشر(الاختيار/القدرية) مما سماه الأشعرى نفسه فضائح ومعايب المعتزلة[١] .

على أنه إن كان أوليرى قد حاول أساسا حصر عدم علمه بتفاصيل التأثير الشرقى فى الفكر اليونانى فى مرحلته الهيلينية فقد سبق أن تولى الشهرستانى عن كثب النظر فيما سبق الهيلينية واليونانية فى جملتها وهو الدور الذى لم يوله أوليرى أى اهتمام لما أحلنا إليه من دلائل تعصب الغربيين لليونان على غير أساس كاف.

فأوليرى وأمثاله من القوميين الغربيين يحبون أن يجعلوا اليونان نقطة بدء كل شىء وقد اهتم أوليرى بهم كما اهتم بما أعقبهم من فكر ومنه الفكر الأفلاطونى المحدث الذى استطاع أوليرى أن يدلى فيه برأى مفصل ولكنه يثبت أيضا الأثر الشرقى فى الفكراليونانى المتأخر – قال: "ولا شك أن أفلوطين والأفلاطونيين المحدثين(الذين وصمهم بالتلفبق) أخذوا بلا حساب من مصادر شرقية .(وقال إته قد) اختفى بعضها تحت ستار

---

[١] أوليرى/ الفكر العربى ومكانه فى التاريخ، نفسه، ص ٢٢١، ٢٢٠، عن وفيات الأعيان ، ج٢، ص٤٤٧، ط النهضة المصرية

- ويراجع عليه موقف أوليرى من الأديان فى المتن وفى هامشنا من أوليرى عن "الفيض"

- وبمؤلفنا فى محاولات تقديم القرآن وترجمته مناهج أخرى لنقد المستشرقين للإسلام وخططهم ومزالقهم . وبه تطور موقفه من من القرآن من الاستهانة إلى التدارس إلى الإعجاب فالاعتناق

- ويراجع دقة موقف الأزهر فى العصر الحديث من أصحاب النحل واستقراء حالات دخول الإسلام فى العصر الحديث\ رسالتنا الأولى، ص٧٧، ٧٨ والهامش..

نسبته إلى فيثاغورث بحكم بقائه زمنا طويلا فى بلاد الإغريق" [١] .

وقد اتضح إقرار أوليرى بأثر شرقى فى أفلوطين والأفلاطونية المحدثة لكنه سيركن إلى نقص معلوماته عن الآثار المبكرة فى (أفلاطون) وينصرف إلى الحديث فى الآثار الأفلاطونية المحدثة ويعدها المسئولة عن نشأة الفلسفات الشرقية ليحمل عليها الفكر العربى ويحكم على مكانته فى التاريخ بها تبعا لذلك.

ولا غبار على ما ذهب إليه فى المقارنة التى أظهرت بعض التشابه فى الفكر الأفلوطينى والسريانى والفرق التى ظهرت . ويميل هو والمستشرقون بصفة عامة إلى إقحام هذه الفرق على الإسلام ولومه بسببها. والواجب كما نستدل عليه بمطرد هذا البحث أن يفصل بين الفكر الإسلامى الأساسى فى الفكر السنى الإجماعى الباقى وكذلك فى الفكر الشيعى المتأخر المقترب من الفكر السنى الآن وبين تلك الفرق التى سبق المسلمون أنفسهم المستشرقين إلى الحملة عليها ونفوها كما نفاها الزمن من حسبان المدنية أو قوموها لتستقيم بعد على الجادة الإسلامية الواضحة [٢] .

---

[١] أوليرى/ الفكر العربى ومكانه فى التاريخ، نفسه، ص ٢٨

[٢] الحوار المقبول بين مفكرى الشيعة المحدثين وبين علماء أهل السنة يمثله لنا كتاب المراجعات للإمام السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوى. وقد نشرته دار التوحيد بالكويت.

- وهو محاورات بين المؤلف والشيخ عبد العزيز البشرى أثناء زيارة الأول لمصر أواخر سنة١٩٢٩م وإلى سنة ١٩٣٠ .

- أما إخلاء التاريخ مساحة التمدن الإسلامى من هذه الفرق المعنية فقد لاحظه هـ.أ.ر. جب فى كتابه عن الإسلام فى تسميته المغلوطة له "المحمدية" فى اللغة الإنجليزية Muhammidanism ؛

- وذلك بعد ما رصده جب من تفرق الشيعة فى شيع عديدة ؛ ولكنها أخلت العالم الإسلامى (من لإندونيسيا إلى غرب لإفريقيا – كما قال- للفكر السنى ؛ ولاسيما بعد الغزالى؛ إلا مناطق قليلة جبلية أو فى حواشى الخليج الفارسى.

- وقد استدل على مبلغ اقتراب المدرستين بمقابلته بين الإمامية وبين أهل السنة؛ فقال "إن الإماميين لا يقبلون بالطبع مبدأ الإجماع. وفى غياب الإمام فإن القادة الدينيين الذين يدعون المجتهدين يمارسون سلطات واسعة فى الأمور الدينية القانونية.

وفيما يتعلق بالقانون فإن الفرق الرئيسى بين الشيعة والسنية يتمثل فى زواج المتعة وممارسة التقية التى(قد) ترجع فى الغالب إلى الاضطهاد الذى لاقاه الشيعة فى العصور الوسطى؛ بيد أنه فيما يتعلق بالأركان الخمسة للدين فإنهم يختلفون فقط فى نقاط قليلة تتصل بالتفاصيل(لا بالأصول) وهى ضئيلة فى ذاتها.."

- وقد ذكر جب اعتراف السنية بالفقه الجعفرى ولكنه كذلك ذكر أن محاولات رأب الصدع كل الرأب على أساس هذا الاعتراف نفسه لم تنجح.

- وإذا اعتبرنا بتوفيق الإيرانيين اليوم فى الجمع بين ولاية الفقيه والاختيار الديموقراطى للحاكم التنفيذى ؛

ولفظ الهيلينية بعد من الألفاظ التى يطلقها المستشرقون على نوع وصفه الدكتور طه حسين حقا بأنه نوع ثالث من الثقافة غير "الثقافة العربية الخالصة التى تعتمد على القرآن الكريم وما يتصل به من علوم الدين وعلى الشعر وما يتصل به من العلوم الأدبية كالنحو والفقه وغيرهما... وغير الثقافة اليونانية".

وهكذا فالهيلينية هى ذلك النوع من الثقافة التى يطلق عليها تجاوزا اسم "الثقافة الشرقية" ، ويخلط المستشرقون بينها وبين الفكر الإسلامى خلطا خطيرا ويسيئون بها الحكم عليه كما ذكرنا. فهى ثقافة "معقدة" كانت "توجد عند الفرس والهنود والأمم السامية التى كانت منتشرة فى العراق .. فهى ليست فارسية خالصة ولا هندية ولا سامية(بل) خليط (منها جميعا) متأثر بحركة الفتح اليونانى.. بين فتوح الإسكندر وظهور الإسلام" [١] ؛ وتعتبرها بعض الموسوعات الغربية ثقافة يونانية رومانية أيضا. وأهم ما فيها هو فكرتها الإنسانية وما يداخلها من بعض النظر الأخلاقى الكونى الذى ألمحنا إليه.

من الرؤية الإسلامية للفكر اليونانى(ميراث النبوة فى الفكر الإنسانى):
لئن كان ثمة من مكسب حقيقى لنا من معاناة النظر فى هذا التناقض الذى وقع فيه الباحثون المحدثون صدد محاولاتهم تعليل الحركات الفكرية فى التاريخ القديم والوسيط فهو المكسب الذى يتمثل فى قول الشهرستانى الباحث المسلم الرائد فى اشتغاله التأريخى التفسيرى المنتج على الشروح العربية المتاحة ومنها شروح ابن سينا للفلسفة اليونانية. ورأيه يحيلنا من قريب على فهم الطفرة غير المعللة بسياقها فى الفكر الفلسفى الأخلاقى اليونانى بقوله بفكرة "ميراث النبوة" أو الإلهام فى فكر 'طاليس' و'أنكساغورس' و 'أنكسمانس' (المالطيون)؛ و'أنبذكالس' و 'فيثاغورث' و 'سقراط' و 'أفلاطون' وغيرهم ممن عدهم الشهرستانى آباء الحكمة [٢] .

وإذا اعتبرنا كذلك أن تقية الشيعة هى عين المداورة السنية التى أوردناها فى أصل لهذا البحث (ص١٨٨) فمن ثم لا يبقى إلا خلاف مؤقت فى المتعة ، نظرا لأن الفقه الجعفرى يحيلها زواجا زواجا بمجرد الإنجاب.

[١] طه حسين/ حديث الشعر والنثر ، ١٠، دار المعارف بمصر، ص ٨٦

[٢] الشهرستانى/ الملل والنحل، مصرة دار الفكر ببيروت
- وقرائن الشركة فى التوحيد بين اليونان والمسلمين قائمة ولو مع فوارق.

وقد ربأت بهؤلاء من ثم عن سلكهم فى الفكر القومى أو الوطنى الضيق ورأيتهم أليق بالتناول فى تاريخ الفكر الدينى والإنسانى كما أشرتُ.

إهدار القيم القديمة ووضع المسلمين فى حالة رباط:

وثمة فضل كبير فى رأينا للفكر الرواقى وللدين المسيحى وغيرهما فى العطاء الفكرى للسعى البشرى الحثيث نحو غاية إنسانية أرحب . فبفضل التحنف والتدين كانت تخبو حدة العصبية الجنسية ويتأثر السلوك الإنسانى بالنظرة الأخلاقية المرتبطة بشعور الفطرة واستيحاءات الدين الشفيفة القيمة والتشريعات المبنية عليهما كما فيما ألمحنا إليه من بحثنا فى التيار الإنسانى الأخلاقى فيما يتبع .

لكن النزعات العنصرية التى كانت تغلب على هذا التيار الإنسانى قد شغلت الحيز الأكبر من التاريخ الغربى حقا؛ "فمن القرن التاسع إلى الخامس عشر بدأت فكرة الدولة القومية فى أوروبا الحديثة تنتشر وتزدهر أيضا ؛ وما إن حل (القرن السابع عشر) حتى تيقظ الشعور القومى عند الانجليز وعند غيرهم كما عاد التأمل السياسى .. مرة أخرى إلى سياسات أرسطو" [1] ، التى قيدناها بأثينا واسبرطة من قبل .

-وقول الشهرستانى بـ "ميراث النبوة " فى حكمة اليونان ولاسيما فى جيل طاليس وأفلاطون وأرسطو خاصة لا ينقضه مثلا عد الغزالى لأرسطو فى المنقذ من الضلال فى رواية أوليرى كافرا أقرب إلى الإسلام(الفكر العربى ومكانه فى التاريخ ص ٢٢٩، ٢٣٠ . وذلك فى الصورة التى شرحه بها الفارابى وابن سينا. وعلى الأخير عول الشهرستانى فى تفسير الفلسفة أوالحكمة اليونانية؛ ولكن الشهرستانى نظر لموضوعه فى مدى أوسع من لدن الحنفاء إلى اليونان إلى المسلمين فضلا عمن تخللهم ؛ فكان هذا من دلائل أصالته كمءرخ للملل والنحل .

-ولقد أقر نقيض ابن حزم ضريع الشهرستانى المسلم الآخر ابن حزم – أقر لنا أوليرى ضمنا أن طالمبادئ الفلسفية التى جاءت بها أعمال الأفلاطونيين المحدثين والأرسطيين الشائعة كانت أكثر استعدادا لملاءمة القرآن(الكريم) ص ٢١١.

- وأهم ما فى هذه الملاءمة أو الشركة فيما أرى هو إخلاص التوحيد لله جل وعلا ؛ وتنزيهه عن التعدد والحدوث . وهما أمران (التعدد والحدوث أو نشأة الخليقة) أسندهما القرآن الكريم وطاليس إلى الماء وأسندهما فيثاغورث إلى العقل ، كما أسندا إلى غير الماء والعقل لدى غير طاليس وفيثاغورث من اليونانحسب شيوع النسبة.

-واظرمطرد القضية بملاحق الدراسة.

[1] على عبد المعطى محمد/ الفكر السياسى الغربى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، ١٩٨١م، ص ٤٢٠

- ومطرد بحثه فى تطور الفكرة القومية فى أوروبا بالصفحات: ١٣٧، ١٣٩، ١٥٠، ١٦٣، ١٦٨، ١٧١، ١٧٦، ١٩٢، ، آخر ١٩٦، ٢٠٣، و ص ٣، ٢٠٥

وهو تأمل أسقط من حسابه أهم ما ينبغى للإنسانية أن تتمسك به من فكر طاليس وسقراط وأفلاطون وأرسطو وفيثاغورث وغالب الرواقيين ممن احتضن المسلمون فكرهم أوميراث النبوة فى أقوالهم بالتوحيد وحالفوهم ضد المجسمة والمشبهة وأصحاب الشنع من بعض المحمولين على الشيعة والمعتزلة والأشعرية وغيرهم كما أشرنا إليه عند الشهرستانى وابن حزم ؛ حيث اتسم الفكر الإسلامى الأساسى المقيد فى رأى أهل السنة والجماعة إلى اليوم بالقرآن والسنة الممحصة بنزعته الإنسانية المثالية رغم واقعيته وعقلانيته الواضحة . وهذا ما لم يستوعبه الفكر الأوروبى الناهض بالأثرين اليونانى والإسلامى على السواء ولاسيما فى جانبهما العقدى رأس العلم والعمل على السواء .

ولذلك فحين داخلت الفكرة الإقليمية رغم ما سيدل عليه هذا البحث من مزاياها فكرتى الامبراطورية الواحدة والكنيسة الواحدة تسارع المشرعون بعد القرن الثالث عشر فى لإثبات دعوى أن كل ملك إقليم ما هو إلا الحاكم الوحيد لإقليمه مما مهد لقيام "الدولة الإقليمية" ثم الأباطرة الإقليميين فيما بعد خلال القرن السادس عشر واختطت كل دولة لنفسها قوانينها وأنظمتها المستقلة فى التعليم والثقافة والاقتصاد والفن وسائر الشئون الاجتماعية والدينية [١] .

ظهر هذا الاتجاه رد فعل للتقسيمات والكوارث الداخلية ولمحاولات الغزو ولاسيما الجرمانى الذى يوصف بأنه همجى(بربرى فى التعبير الغربى الجارح لنا) قضى على الإمبراطورية البيزنطية الغربية سنة ٤٧٦م ثم العثمانى الذى وضع حدا لإمبراطورية البيزنطية الشرقية سنة ١٤٥٣م ؛ ولو أنه بالأول دخلت أوروبا ظلام العصور الوسطى وبالثانى كان خروجها منه أو بسببه.

وعديدة هى الدراسات التى أفاضت فى بيان الفوائد التى جنتها أوروبا من

[١] على عبد المعطى محمد/ الفكر السياسى الغربى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، ١٩٨١م، ص ١٥٥، ١٥٦، ٤٢٠

الشرق ولاسيما بعد الاحتكاكين التاريخيين مع صلاح الدين ومحمد الفاتح وآثار ذلك فى التقنيات والعلوم والفنون ؛ لكننا نخص بالذكر ظاهرة تاريخية غريبة قد تبدو مناقضة تتمثل فى التغير المفاجئ وغير المتوقع للفكر الأوروبى من متجهه نحو ثقافة الشرق الواسعة إلى ثقافة اليونان خاصة ومن إكبار الثقافة العربية إلى التهوين منها.

كان "شوبنهور" يتوقع اشتداد النزعة نحو الأدب الشرقى وامتدادها من ألمانيا إلى فرنسا وانجلترا ولكن ... وقفت الآداب الفرنسية والإنجليزية فى وجه تلك الحركة فقضت عليها . وكان جوته يحلم بجعل الأدب الألمانى أدبا إنسانيا عالميا عن طريق مزجه بالقيم والأذواق الشرقية فتحطم هذا الحلم الجميل بظهور الحركات القومية واشتداد النعرة الوطنية" ؛ فضلا عما سيرد من عوامل سوء الأخذ عن علماء العرب أوفلاسفتهم حال فريدريك الثانى وتوماس الإكوينى وغيرهما؛ فضلا عما نلم به فى الفصل التالى مباشرة من دلائل مماثلة عند "إليجيرى" و "بادوا".

لا نستطيع إلقاء كل التبعة على منجزات العلم القيمة فى أوروبا أو نرجعها إلى قراءة الأوروبيين لأدب اليونان ؛ فالأمران لا يبرران تحويل دفة سفينة النهضة الأوروبية والزج بها فى خضم الحماس القومى ثم توجيهها لغزو الشرق وامتهانه نظرا لأنه قد كان مشرق أنوار العلم والهداية حقيقة لا مجازا ؛ والمتفق عليه أن التبعة تقع على الروح التجارية التى برزت وإلى ما جره التعصب الدينى القومى الغربى من الوقوع فى الخلط بين الثقافة الشرقية المختلطة (الهيلينية) وبين ثقافة الإسلام المحررة. فمن ثم جنح الأوروبيون إلى أن يتخذوا أجدادهم نقطة بدء . ولو أن هذا المنحى الاقتصادى العملى فى الاختيار قد أسقط من حسابه قيم الموحدين اليونان أنفسهم كما ظاهر من الدين أحيانا كثيرة.

تمثل هذا المنحى العملى المستطرف فى الاتجاه القومى الذى ظهر رد فعل لمحاولتى الغزو الكبيرتين السابقتين وللكوارث الداخلية ولمحاولات التقسيم النازعة إلى الاستئثار بالثروة الإقليمية والحرية الفكرية فى

مواجهة الكنيسة الرومانية التى اتهمت باحتكار السلطات والثروات.

ورغم التقدم العلمى والتجارى واتساع تيار الاستنارة والمحاولات المدهشة لإصلاح الأفكار الكلاسيكية والخيالية فإن رواسب النفوذ الدينى لروما فى الأقاليم وما درجت عليه البابوية من الضغط على أوائل المخترعين والمصلحين والاستعداء عليهم باسم الإسلام فى أوروبا قد جنح بالقوميين إلى الاتكاء على اسم اليونان بحسب مقتضيات السياسة والكياسة أيضا وإلى أن بدا الاتجاه وإن تعددت تياراته فى الدول القومية العديدة وكأنه اتجاه يونانى خالص ثم ما لبث أن صار السلوك طبعا وعقيدة . ولذلك فإنه بخلاف ما كان يتوقع من نهوض العلم وتطور النظم وإحكامها فى أوروبا ومن إصلاح دينى واجتماعى يخلو من التعصب بصفة عامة فإن ذلك لم يحل دون اصطباغ نظرة الدول القومية الناشئة إلى الشرق بالصبغة العنصرية اليونانية والرومانية رغم خصائصها العلمانية المستقلة.

وفى فورة الحماس للجديد والحملة على فكر العصور الوسطى أهدرت قيم إنسانية وحقوق لكثير من الناس بواسطة مديرى الدول القومية الجديدة وتجوهلت الالتزامات التى وقعت مع أمم الشرق من قبيل اتفاق "ريتشارد قلب الأسد / صلاح الدين ؛ بل تجوهلت القيم الدينية والأخلاقية نفسها فى سبيل مآرب سياسية ومادية كما سيرد.

ولذلك ارتبطت نشأة الاتجاهات القومية فى الغرب باسترقاق الأفارقة ثم باستعمار الشرق من بعد بدلا من مساعدة المنطقتين مساعدة حقيقية على التحرر كم حكامهما المستبدين ومؤازرة العدول منهم بعد تسلم هذه الدول الجديدة لمحصول العلم الإنسانى فى القديم من سدنته وأربابه السابقين ولاسيما المسلمين وتقوى الأوروبيين المحدثين به . وهذا وما إليه من هجومانية التتار والقرامطة وما إليهم مما تسبب فى وضع المسلمين فى حالة رباط مستمر واضطرارهم إلى اصطناع الترك والمماليك ذوى الضراوة المعادلة لهذه الضراوات واضطرار المسلمين كذلك إلى تحبيذ الحكم الاستبدادى العضوض وعدم استطاعتهم تطويع الأساس الشورى

الذى تمثلناه فى المفهوم القرآنى وبعض التطبيق الفعلى لمعادل ديموقراطى فعلى.

▲والمهم الآن أن نستخلص عدم اقتصار التفكير الديموفراطى أو الدينى أو المادى المنتج(العلمى) على الغرب أو اليونان، وعدم مناقضة أحدهما لآخر.
- وأن نثبت براءة اليونان أنفسهم من تمحل القوميين الغربيين للتعصب بهم على المسلمين وأمم الشرق الأخرى.
- ثم أن نفتح طريقا جديدة للبحث فى أصول حضارية أفضل لنا وللعالم يكون فيها الحنفاء (المسلمون السابقون لليونان) لا اليونانيون وحدهم نقطة بدء.
- وأن نتنبه فى الوقت نفسه إلى أن الأساليب والمفاهيم المبتسرة للوطنيات بما فيها السامية الإسرائيلية بأساليب لاسامية، ووقيعة ذات البين كما فى المفتعل بين السنة والشيعة ؛فضلا عن نقص الدقرطة أو عدم تأصيلها ؛ وعدم التوازن فى النمو ؛ مما يورط بحر العرب وخليج فارس فى حروب أهلية كحروب ملوك الطوائف وحروب البلقان والأوروبية الحديثة وما عجز ثلاث دول عربية عن تشخيص مفاجأة حزب الله فى لبنان مؤخرا إلا مقدمات أو نذر أو عبر أخرى فى أحسن تقدير.